

زهرة ذابـلة

« إنا وجدنا آباءنا على أمة وأنا على آثارهم مقتدون ». فأردت أن أفنعهما بالأمر الواقع ، فقلت ماذا يضريك من ابن عمك ؟ إنه حسن الاخلاق ، مقبول الخلق ، وأنا أعرفه من زمن طويل ، فلم أرفيه مايدعو إلى النفور منه ، وإن الزواج كفيل بأن يجعل منكما زوجين متحابين . فاعتدلت في جلستها وقالت : إني لم أترك وسيلة لاقتناع نفسي بقبول الزواج منه ، وأنا أعلم أن ليس فيه عيب ، بل لم أدرك لماذا لا أريده ؟ وكل ما أعرف أننى كلما حضر إلى بيتنا يخيم على حزن عميق ، وكلما حاولت أن أقابله وألاطفه لم أجد إلى ذلك سبيلا . إن الجمال والمال ليسا ما أريده لحياتى الزوجية . إني أريد التفاهم ، وامتزاج الروح ، أريد أن أتزوج من أرتاح إليه ، ولا أدري لماذا لا يستشيروننا في الزواج ؟ كأننا نحن بضاعة رخيصة ولا أدري من أين جاؤوا بهذه العادة ؟ فلا الدين يأمر بها ، ولا العقل يقبلها . . . يقبلون ويرفضون على هواهم الخاص ، كأنهم هم الذين سيتزوجون . إني لا أتصور ذلك اليوم الذى سآزف فيه إليه ، لكن لا . . . لن أؤف إليه ولو اقتضى ذلك هلاكى ، وراحت تذرف من عينها الدموع .

وقفت أشاهد هذه الزهرة النضرة وهى تذبل كسيرة ، وذلك القلب الذى خلق ليسعد الناس لا يجد لنفسه السعادة ، ومرت فى مخيلتى حوادث رأيتها وسمعتها ، وهى كثيرة ومن هذا النوع . فتلك فتاة جنت ليلة دخلتها ، وهذه كبتت حزنها فنحل جسمها ، واحمى جمالها ، وفارقت الحياة ولم تحقق حلمها ، ذلك الحلم البسيط . زوج تراح إليه ؛ وفارقت صاحبتى حزينا مهموماً ، أنا الذى جئت لأنزع الهم والحزن عنها ؛ ومثل هذه المشاكل لا يحلها الكلام ولكن يحلها العمل العادل .

فيا أيها الآباء ارحموا بناتكم فانهن بشر مثلكم ، لهن قلوب وآراء يجب أن تقدروها وتحترموها ؟

يوسف النصف

رفعت الفتاة رأسها بعد إطراقة طويلة وراحت تحديق ببصرها الشارد ، وهى لا تعى شيئاً مما حولها ، وكان السكون الخيم على الحجرة قد أكسبها رهبة وجلالا . وكنت أراقب الفتاة ولا أجرؤ على مخاطبتها وخافة رفعت بصرها إلى ، وما راغنى إلا عيناها . وقد اغرورقتا بالدموع ، وكأنها أرادت أن تقول شيئاً فلم أتمالك نفسي ، فقممت إليها وأمسكت بيدها أهدى من روعها وقلت لها : ماذا يبكيك يا عزيزتى ؟ إنك فتاة جميلة فى زهرة العمر وأمامك المستقبل الزاهر ، وإن أهلك فى سعة من الرزق ، وقد درست ما فيه الكفاية ، وأنت لا تزالين تقرئين وتزودين بالمعلومات فماذا يبكيك ؟ . فرفعت بصرها ثانية وقد جف دمعها وقالت فى لهجة متقطعة ، نعم إن أمانى مستقبلها ولكنه ليس زاهراً ، والذى يبكيكى هو ذلك المستقبل الذى تدعى أنه زاهر جميل ، وإني لأراه مظلماً دامساً ؛ إنك لو كنت فى محلى لما وسمعت إلا أن تسكون أتعس منى ، ولو عرفت قصتى لعذرتنى ورثيت لى . . . وصمتت برهة ، وألقت برأسها بين ذراعيها .

أثر فى نفسى هذا المنظر فجلست أمامها ، ورفعت ، رأسها ، فقلت لها اسمعى يا عزيزتى : إني أكبرك سنأ فاشرحى لى قصتك لعلى أجد لها حلاً تراحين منه . فقالت . . سوف أشرح لك قصتى وإن كنت لا أعتقد أنك ستجد حلاً فاسمع : أنت تعلم أن أختى سوف تتزوج من ابن عمها قريباً ، وأن لهذا أخاً أصغر منه ، ومن يوم ولدت كان مقرراً أن يتزوجنى وأنا لا أريده ولا أرى فيه ذلك الزوج الذى أنتظره . ذلك الزوج الذى يكون شريكاً لحياتى ، وهو سعادتى ، وزهرة مستقبلى ، وكل شىء فى حياتى .

وكنت أثناء كلامها أفكر فى أمرها ، لكن ماذا أستطيع أن أقدم لها من خدمة ، وأنا أعرف أباهها شديد التعصب ، لا يعرف شيئاً اسمه الرأى ، ولا يدين بما يسمونه — حرية اختيار الأزواج — وهو من الذين ينطبق عليهم قول الله تعالى على لسان الكافرين